

# رسالة فضيلة المرشد العام للإخوان المسلمين : "ذلكم الله ربكم الحق"



الخميس 1 يناير 2004 12:01 م

09/04/2009

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، واهتدى بهداه، وبعد...  
فقد رثى النبي صلى الله عليه وسلم جيلاً من أصحابه تربيةً خاصةً؛ فكان الواحد منهم أمةً، واستطاعوا بفضل الله أن يفتحوا بالإسلام مشارق الدنيا ومغاربها، فقد أيقن صلى الله عليه وسلم أنه لا يمكن أن يؤدي هذا الجيل رسالته في إخراج الناس من الظلمات إلى النور بغير يقظةٍ روحيةٍ قويةٍ؛ تحرك المشاعر الساكنة، وتحمل النفوس الكلية العليقة

**ذلكم الله ربكم**

بدأ النبي صلى الله عليه وسلم عملية الإيقاظ الروحي بتعريف الخلق بربهم، وأنه وحده الحق المطلق، وأن دينه وحده هو دين الحق، وكل الدعوات الأخرى زائفة باطلة؟  
مَذِكُمْ اللهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ مَا أَنَّى تُضْرَمُونَ؟ (يونس: 32).  
وأدرك الجيل الأول أن عزهم في الاستمسك به، ولم يعد هناك أي استعداد للمساومة عليه أو التراجع عنه، أو التردد في نصرته والتضحية بالغالي والنفيس من أجله...  
أخرج الحاكم فيما صححه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "إنا قوم أعزنا الله بالإسلام؛ فلن نبغى العزة بغيره".

**الله تعالى في القرآن**

يكفيك أن تقرأ القرآن لتقف على ما عرس الإسلام في قلوبهم من معرفة حقيقية بالله جل وعلا، صححت سلوكهم في الحياة، وجعلتهم خير أمة أخرجت للناس، ولتعرف كيف سيكون حال الأمة لو عادت إلى هذه المعرفة الوثيقة بالله؛ حيث تتحرر القلوب من عبودية الأهواء والشهوات والجبابة والطواغيت، وتمتلئ بالقوة والعزة، وتتداعى إلى حفظ الحقوق والكرامة الإنسانية، فلتنظر معي، أيها الإنسان، إلى بعض جوانب التعريف بالله تعالى في القرآن في النقاط العشرة التالية:

**1- الله هو الحق وما عداه باطل**

تلك هي الحقيقة التي ملأت كيان الجيل المسلم الأول، والتي يجب أن تملأ كيان كل مؤمن، قال تعالى: **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ؟** (الحج: 62).

**2- الله وحده المالك لكل شيء والخالق لكل شيء والمدير لكل أمر**

قال تعالى: **ذِكْرُكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُضْرَمُونَ؟** (الزمر: من الآية 6)، وقال تعالى: **ذِكْرُكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ؟** (غافر: 62)، والله تعالى يذكر عباده بهذه الحقيقة؛ فيقول: **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقِ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ؟** (فاطر: 3).

وينقل لنا على لسان الخليل إبراهيم إيمانه بهذه الحقيقة: **الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ\* وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ\* وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ\* وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ\* وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ؟** (الشعراء: 78 : 82).

**3- بيده الأمر ومن سواه لا يملكون شيئاً**

قال تعالى: **أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَلْفُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟** (الأعراف: من الآية 54)، وقال تعالى: **يَذَرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَيْعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذِكْرُكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ أَقْلًا تَذَكَّرُونَ؟** (يونس: من الآية 3).

ويدعو الله كل مؤمن أن يردد: **قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ تَوْبِي الْمَلِكُ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكُ مَنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِإِذْنِكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُدَبِّرٌ\* تُولِي السَّيْلَ فِي النَّهَارِ فِي السَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ؟** (آل عمران: 26، 27)، ويهدد سبحانه المتجبرين في الأرض: **إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ\* وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ؟** (إبراهيم: 19، 20).

أما غيره مهما بلغت قوتهم فهم لا يملكون قليلاً ولا كثيراً... قال تعالى: **ذِكْرُكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ؟** (فاطر: من الآية 13).

**4- الله عليم بما في نفوس العباد لا يخفى عليه شيء**

قال تعالى: **رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ؟** (الإسراء: من الآية 25)، ويناجي الخليل ربه فيقول: **رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ؟** (إبراهيم: 38).

**5- دعوته وما جاء من عنده هو وحده الحق المطلق**

قال تعالى: **لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ؟** (يونس: من الآية 94).

**6- لا يغيب عنه ما يفعل الظالمون**

لأن الظالم تغلبه شهوة الظلم على التسلط على الخلق، ويغتره إمهال الله تعالى له: فإنه سبحانه يؤكد أنه بالمرصاد لكل طاغٍ نسي ربه وتسلط على عباد الله بغير حق، قال تعالى: **؟ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيُؤمَّ تَشَخُّصٌ فِيهِ الْإِبْطَارُ؟** (إبراهيم: 42)، ويهدد الله سبحانه المجرمين فيقول: **؟ فَإِنَّ كَذِبُكَ قُلُّنَ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرِيدُ بِأَنفُسِكُمْ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ؟** (الأنعام: 147).

وقال بعض الحكماء: "الظلم على ثلاثة أوجه: ظلم لا يغفره الله عز وجل فهو الشرك به، وظلم لا يتركه الله تعالى فمظالم العباد بعضهم بعضًا، وظلم لا يعبأ به فظلم العبد بينه وبين الله تعالى".

#### 7- الكل سيرد إلى الله الحق

فالكل إليه صائر وأمامه محاسب قال تعالى: **؟ ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْخُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ؟** (الأنعام: 62).  
ولذلك لا ينبغي لمن عرف أنه صائر إلى ربه أن يتخذ غيره ربا؟ **؟ قُلْ أَعْبُدُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْبَغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَحْسِبْ كُلَّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهِهَا وَلَا تَرَى وَارِزَةً وَرَى أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ؟** (الأنعام: 164)، ويعنى الله على أولئك الغافلين الذين يظنون أن أحدا لا يقدر عليهم فيقول: **؟ أَلَا يَطَّلُنْ أَوْلِيَاكُمْ أَنَّهُمْ مِعْجُونُونَ\* لِيَوْمٍ عَظِيمٍ\* يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ؟** (المطففين: 4-6).

وهذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول محدِّثًا الظالم من يوم اللقاء: "يوم العدل (أي يوم القيامة) على الظالم أشدَّ من يوم الجور على المظلوم".

#### 8- هو وحده المستحق للعبادة

فما دام هو الحق، وما دام هو وحده الخالق المالك المدبِّر، وما دام الأمر كله بيده، ولا يخفى عليه شيء من أمر خلقه، وما دام الحق هو ما جاء به، وما دام الكل إليه راجعا، فينبغي إفراده وحده بالعبادة، قال تعالى: **؟ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ؟** (الأنعام: 102).

#### 9- الله وحده الذي يخشى عقابه يوم الدين

قال تعالى: **؟ يَوْمَئِذٍ يُؤْمِنُ بِهِمْ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقُّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ؟** (النور: 25)، ومن ثم فالؤمن يردِّد دائما: **؟ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ؟** (الأنعام: 15 والنور: 13).

وجاء في بعض الآثار: "يقول الله تعالى: اشتد غضبي على من ظلم من لا يجد له ناصرًا غيري".

وقال أبو أمامة رضي الله عنه: "يجيء الظالم يوم القيامة، حتى إذا كان على جسر جهنم لقيه المظلوم وعرف ما ظلمه به، فما يبرح الذين ظلموا بالذين ظلموا حتى ينزوا ما بأيديهم من الحسنات؛ فإن لم يجدوا حسناتٍ حُجِلَ عليهم من سيئاتهم مثل ما ظلموا، حتى يردُّوا الدرك الأسفل من النار".

#### 10- ولا مجال في قلب المؤمن للخوف مما سواه

فالمؤمنون به على الحقيقة **؟ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ مَوْتِهِمْ وَيَتَعَلَّوْنَ مَا يُؤْمَرُونَ؟** (النحل: 50)، ولذلك فخليل الرحمن يرفض التهديد الذي يوجهه إليه من لا يعرف الله **؟ وَخَاجَتِ قُوَّةُهُ قَالَ أَتَخَافُونَنِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ\* وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَذْنِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ؟** (الأنعام: 80، 81).

وموسى عليه السلام حين تضيق حوله الدائرة ويخشى أصحابه أن يدركهم فرعون: **؟ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ؟** (الشعراء: 62) فينطلق البحر أمامه، حتى إذا نجا بمن معه انطبق البحر على فرعون وجنوده

#### تحذير القادر على الظلم من الظلم

وبعد قال فهل لمؤمن بالله يقرأ هذه الآيات أن يتجاوز قدره، وأن يعصي ربه، وأن يعتدي على خلق الله بما في يده من سلطان، متناسيا سلطان الله عليه وقدره الله من فوقه، جاء في صحيح مسلم عن أبي مسعود البدرى رضي الله عنه، قال: **؟ كُنْتُ أُضْرِبُ غُلَامًا لِي بِالسُّوْطِ، فَسَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ خَلْفِي: "اعْلَمْ يَا مَسْعُودُ"؛ فَلَمْ أَفْهَمْ الصَّوْتِ مِنَ الْغَضَبِ، فَلَمَّا دَنَا مِنِّي إِذَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَإِذَا هُوَ يَقُولُ: "اعْلَمْ يَا مَسْعُودُ أَنَّ اللَّهَ أَكْبَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الْغُلَامِ"؛ فَقُلْتُ: لَا أُضْرِبُ مَقْلُوكًا بَعْدَهُ أَبَدًا"؛ وَفِي رِوَايَةٍ: فَسَقَطَ السُّوْطُ مِنْ يَدِي مِنْ هَيْبَتِهِ، وَفِي رِوَايَةٍ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، هُوَ ذُرِّي يُؤَدِّئُ اللَّهُ تَعَالَى، فَقَالَ: "أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلْحَتِّكَ النَّارُ، أَوْ لَمَسَّتْكَ النَّارُ"!!!**

أين هذا مما تفعله بعض الأجهزة في التعامل مع المواطنين من إيذاء وحبس بغير حق، وتلفيق لقضايا مزعومة؟! مستغلة سطوتها وقوتها، ضاربه عرض الحائط بكل ما جاء في الدستور والقانون من رعاية للحرمات وحفظ لكرامات الناس؟ **؟ أَلَا يَطَّلُنْ أَوْلِيَاكُمْ أَنَّهُمْ مِعْجُونُونَ\* لِيَوْمٍ عَظِيمٍ\* يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ؟** (المطففين: 4-6).

#### النبي يحذر من يؤدي مسلما أو يعذبه أو يظلمه

أَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ جَرَحَ ظَهْرَ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقٍّ لَبِيَ اللَّهُ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانٌ"، وَأَخْرَجَ أَيْضًا عَنْ عُمَةَ بْنِ قَيْسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ظَهْرُ الْمُؤْمِنِ حَيْثُ إِلَّا بِحَقِّهِ"؛ يَعْنِي إِلَّا أَنْ يَرْتَكِبَ مَا يوجب العقوبة

ولم يكن الجيل الأول من صحابة النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم يتأخرون عن تذكير من وقع في شيء من هذه الخطيئة، ولم يكن المنصوح يتردد في مراجعة نفسه وتصحيح خطئه، أخرج ابن أبي عاصم عن خالد بن حكيم بن حزام، أنه أتى أبا عبيدة، وإذ رجل من أهل الأرض بشمس (أي يعذبه أبو عبيدة بإيقافه في الشمس الحارقة)، فنهاه عنه خالد بن الوليد، فقالوا لخالد: أغضبت أبا عبيدة! فقال: إني لم أغضبه، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن أشدَّ الناس عذابًا للناس في الدنيا أشدُّهم عذابًا عند الله عز وجل يوم القيامة".

وفي مسند أحمد وصحيح مسلم: **؟ مَرَّ هِشَامُ بْنُ حَكِيمٍ بِنِ جِرَامٍ بِأَنْبَاسٍ مِنْ أَهْلِ الدَّقَّةِ مَدَّ أَيْدِيَهُمَا فِي الشَّمْسِ بِالسَّامِ (على سبيل التعذيب) فَقَالَ: مَا هَؤُلَاءِ؟ قَالُوا: بَقِي عَلَيْهِمْ شَيْءٌ مِنَ الْحَرَامِ (أي تأخروا في دفع بعض ما عليهم) فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَعْدُبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يَعْدُبُونَ النَّاسَ"، وَأَمِيرُ النَّاسِ يُؤْمِنُ عَمْرِي بِنِ سَعْدٍ عَلَى فِلَسْطِينَ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ مَحْدَثَةً، فَخَلَّى سَبِيلَهُمْ**

أين هذه التربية الإيمانية التي صبغت هذه القلوب المؤمنة مما تفعله بعض الأنظمة من تسليط أجهزتها الأمنية وإطلاق يدها في التلبي من كرامة الناس وتعذيبهم، ثم تكابر وتجادل عن هذا السلوك المشين؟! وحتى حين تُعرض عليها وعلى الملأ الحقائق الدامغة والقصص المرعبة لما جرى من تلك الأجهزة؛ تنطلق في الإنكار أحيانًا، وتبرير هذا الظلم أحيانًا!! **؟ أَلَا يَطَّلُنْ أَوْلِيَاكُمْ أَنَّهُمْ مِعْجُونُونَ\* لِيَوْمٍ عَظِيمٍ\* يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ؟** (المطففين: 4-6).

#### احذروا دعوة المظلوم

إنني أدكر كل من شارك أو يشارك في الإساءة لبني وطنه بقول الله تعالى **؟ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيُؤمَّ تَشَخُّصٌ فِيهِ الْإِبْطَارُ؟** (إبراهيم: 42)، وليحذر من يمارس هذا الفعل الشائن من دعوة المظلوم، فقد روى أحمد والترمذي بسند حسن عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة لا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الضَّالُّمُ حَتَّى يُطَّيَّرَ، وَالْإِمَامُ الْغَادِلُ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْغَبُهَا اللَّهُ فَوْقَ الْعَمَامِ وَيَبْتَدِئُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي لِأَنْصُرَنَّكَ وَتَوْبُ بَعْدَ جِيْنٍ".

ولما نُكِبَ أحد الظلمة ودارت عليه الدوائر قيل له: رأيت هذه النخبة؟ هل تدري ما سببها؟ قال: لعلها دعوة مظلوم، سررت في ظلام الليل ونحرت عنها غافلون، فهل يستمر الظالمون وأعدائهم في هذا الظلم إلى أن يحل بهم سخط الله؟ **؟ أَلَا يَطَّلُنْ أَوْلِيَاكُمْ أَنَّهُمْ مِعْجُونُونَ\* لِيَوْمٍ عَظِيمٍ\* يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ؟** (المطففين: 4-6).

#### هل الطغيان والاستبداد يحفظ هيبة الدولة ويحميها؟

تلك هي الخطيئة الأخلاقية والفكرية والإنسانية التي يقع فيها من لم يعرف ربه، ولم يدرك حقيقة نفسه، فيستمر في ظلمه وبطشه؛ متوقفاً أنه يحمي نظامه أو يحفظ هيئته، وذلك هو الجهل بعينه، فلا شيء أحفظ لهيبة الدولة من إقامة العدل الذي يزرع الحب والمودة بين الولاة والربعية

يقول الحق جل و علا **؟ وَتِلْكَ الْأَمْزِيُّ أَهْلَكُنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا؟** (الكهف: 59) إنه لا يؤدي إلى تراجع الأمم وإلى زوال الدول قدر تفشي الظلم فيها وغياب العدل عن مؤسساتها وأفرادها، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا رأيت امتي تهاب الظالم أن تقول له: أنت ظالم، فقد توعدت منهم"، وقد سئل صلى الله عليه وسلم: "أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: "نعم، إذا كثرت الخبث"، وقديما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن الدولة الظالمة تفتنى وإن كانت مسلمة، وإن الدولة العادلة تبقى وإن كانت كافرة"، والله أكبر والله الحمد

